مقدمة

إن موضوع الجمال من الموضوعات التى شغلت الانسان منذ القدم وحتى الآن ، فقد اهتم به الفلاسفة والفنانون وعلماء النفس وعلماء الرياضيات والطبيعة وما وراء الطبيعة . . . كل حسب اتجاهه وميوله ووجهة نظره ؛ فى محاولة للكشف عن أصل الجمال ؛ وأسباب الشعور والاحساس به عند الانسان .

وقد دعت دراسة هذا الموضوع إلى تفسير كل من « القيمة الجمالية » و « النظرية الجمالية » فى فن العمارة . فالقيمة هى من قبيل الاعتبارات التى يصبو العمل الفنى الى تحقيقها ، ويقابلها فى المعنى انتماء الفكر الجماعى وولائه لمبدأ معين ؛ ويكون هذا الانتماء بشكل لا ارادى وبدون القصد او العمد الى ايجاده ، على أن يبقى هذا المبدأ كسبب أساسى لملائمة العمل الفنى مع روح المجتمع . وبالتالى يتحدد المعنى المقصود من القيمة الجمالية بأنها تلك الأسس التى يوجدها التزامنا التلقائى بها فى أعمالنا الفنية عند تشكيلها وعند حكمنا عليها . أما النظرية فهى اجتهاد — قد يكون فرديا — فى محاولة لتفسير مسألة أو ظاهرة أو قضية ، أو ربما اكتشاف لخاصية معينة ، سواء فى الأشكال أو الألوان . . . الخ . وتبنى النظرية عادة من خلال وجهة نظر شخصية ، وتبعاً لافتراضات معينة ، وتصل الى نتيجة هى مضمون هذه النظرية . على أن الدارس قد يأخذ بهذه النظرية أو تلك ، حسب اقتناعه بفروضها ونتائجها . فالنظرية ليست ملزمة الا لمن أيدها واتبعها .

هذا ، ولقد انحصر موضوع البحث ، فى دراسة أهم النظريات والقيم

الجمالية فى العمل المعمارى ؛ منذ العصور القديمة وحتى العصر الحديث . ولقد اتضح لنامدى ما صادفه هذا الموضوع من اختلاف فى آراء العلماء . اذ تفرقت بهم الطرق وتشعبت ابتداء من أول خطوة فى هذا السبيل. فبالسؤال : هل هذا الشئ يعجبنى لأنه جميل ، أم أنه جميل لأنه يعجبنى، وبصيغة أخرى : هل الجمال فى حد ذاته حقيقة قائمة بنفسها فى العالم الخارجى عنا ، أم أنه ظاهرة نفسية ، يحس بها الفرد فى ذاته ؟ إنقسم باحثى الجمال الى فريقين : الأول يرى موضوعية الجمال ، أى وجوده فى الشئ نفسه أولا . لذلك فهو يعجبنا. وأما الفريق الثانى فيعتقد فى ذاتية الجمال ، أى أن الجمال لايكون إلا حينما يستقبله الانسان ويتذوقه ، لأنه قائم ويعتمد أولا وأخيراً على تذوق الانسان له .

وعلى أية حال ، فإن مفكرى القرنين ١٦ ، ١٧ فى أوروبا ، قد أكدوا وجود الجمال فى الشئ ، أى موضوعيا . أما مفكرى القرن ١٨ بوجه عام فقد أعطوا رأيهم لصالح الجمال الذاتى ، أى نتيجة تذوق الإنسان له . وبعد ذلك ، ونظراً لنشأة وتطور علم السيكولوجى (١) Psychologie

وكذا وخاصة علم السيكو — فسيولوجى (٢) Psycho - Physiologie

فى القرنين ١٩ ، ٢٠ فقد حاول مفكرى هذين القرنين اعطاء أساس علمى

---

(١) علم السيكولوجى Psychologie : هو علم النفس .

(٢) علم السيكو — فسيولوجى Psycho - Physiologie وهو العلم الذى يربط بين علم النفس ، وعلم دراسة وظائف أعضاء الجسم .

لتفسير ظاهرة الجمال .

ويجدر بالذكر أنه من تشعب الآراء حول موضوع الجمال ، أن رفضه البعض كعلم ، بحجة أن العلم هو ما يقبل التقنين والقوانين . أما الجمال ، فلأن الحكم عليه قائم على الرأى الشخصى للإنسان ، وأن ما يعجبنى ليس من الضرورى أن يعجب الآخرين ، فان تدخل هذا العامل الشخصى قد يمتنع معه تجميع أهواء الأفراد تحت قانون واحد .

ولكن هناك رأى آخر : هو أن هؤلاء الأفراد هم أولا وأخيراً أفراد جنس بشرى واحد ، قد خلقه الله سبحانه وتعالى تبع قانون أساسى موحد . واقتضت حكمته أن يتحقق هذا القانون فى مخلوقاته جمعاء . فأفراد البشر وان اختلفت أجناسهم ، وألوانهم ، ومهما تفاوتت الاذواق ، فهناك أصل واحد لخطة الخلق ، فرض نوعا من التوحيد التقريبى والاجماع العام على أساسيات الذوق . مثل الاجماع العام على وصف الزهور بالجمال ، ومثل مشاعر الجلال والعظمة التى نحسها تجاه الأهرام ، أو تجاه صرح معبد مصرى قديم .

وعلى ذلك فاننا نستطيع أن نستشف تلك الاساسيات الجمالية المتفق عليها ، والتى يجتمع عندها الذوق البشرى بصفة عامة . وهذا بالطبع لا يمنع من وجود بعض التفاوت فى درجة الموافقة الشخصية باختلاف البيئة وظروف المعيشة . أما الاقلية من حالات الإختلاف أو التباين التى تحدث فى نفس الظروف ، فتعتبر حالات شاذة ، تدرس على حدة .

هذا ما يدعونا اذن الى تفهم تلك القيم الجمالية — التى سنتحدث عنها

فيما بعد — والتى سادت العصور المختلفة وما زال الكم الإعجابى بآثارها يشهد بصحة أسباب الجمال فيها ، رغم تغير ظروف المعيشة تماماً . ولقد إنشغل فريق من الباحثين وعلماء الجمال بدراسة مقومات الجمال فى هذه الأعمال المعمارية التى خلدها التاريخ كعلامات على طريق الانسانية . وقد أمكن استنباط بعض القيم الجمالية التى سادت هذه الفترات التاريخية ، كما إستخلصت بعض التوصيات المفيدة التى قام عليها عدد من نظريات الجمال الهامة فى فن العمارة .

وعلى هذا الأساس كان إختيارنا لموضوع البحث ، فى محاولة لتحليل الاحساس الجمالى عند الانسان تجاه فن العمارة ، بدراسة وتحليل النظريات والقيم الجمالية لفن العمارة خلال التراث الانسانى .

ولقد تناولنا بالباب الأول عرض للأفكار الأساسية لقيم الجمال العمارى على مر العصور ، ثم تناول الباب الثانى دراسة علاقة الانسان بفن العمارة . أما الباب الثالث فقد خصصناه لدراسة وتحليل الاتجاهات المختلفة لعلماء ومفكرى الجمال المعمارى .

وبهذا أرجو أن أكون قد وفقت فى دراسة هذا الموضوع

والله ولى التوفيق .